رواية

شجرة العظام

عبدالقادر سعد

روايـة

﴿ شجرة العظام ﴾

عبدالقادر سعد

بحركة سريعة ومستعجلة، نظر آدم إلى ساعته التي تلمع تحت أشعة الشمس الحارقة. كان آدم مراهقا طويل القامة، بجسدٍ رياضي منحوتٍ بعناية. شعره الداكن القصير كان يتناسق مع بشرته البرونزية التي اكتسبها من الساعات الطويلة التي يقضيها في الخارج. عيونه الرمادية الحادة تعكس صرامةً وتفكيراً دائماً في كل خطوة يخطوها،

وكأن كل شيء في حياته عبارة عن معادلة يجب حلها. تأمل عقارب الساعة للحظة، وفكر في الوقت الذي يمر ببطء بين خطواته المتسارعة على الرصيف المغطى بالأتربة. بدأ حساباً بسيطاً في ذهنه، وتنهد بارتياح عندما قدر أنه، على هذا المستوى من المشي، سيصل إلى المنزل في غضون ربع ساعة .

على الجانب الآخر، كان كريم يسير بجانبه. كريم كان أقصر قامةً من آدم، ممتلئ الجسد قليلاً، ببشرة فاتحة وشعر بني مجعد يتدلى على جبينه.

كانت عيناه البنيتان تحملان دائماً تلك النظرة المتعبة التي تعكس إرهاقاً داخلياً أكثر منه جسدياً. على عكس آدم، كان وجه كريم غالباً ما يعبّر عن انفعالاته بوضوح. هذه المرة كانت تعابير وجهه تتحدث عن الإرهاق والضجر الذي تسببه الشمس الحارقة، وكأن أشعة الشمس أثقلت عليه أكثر مما أثرت في آدم. فجأة قال بنبرة متذمرة تحمل مزيجاً من التعب والقلق: "كيف يمكن للأمور أن تكون أسوأ؟"

مسح العرق من جبهته بيده الممتلئة وتابع بنبرة متأففة، "كل هذه المسافة التي نقطعها إلى المنزل في هذا الجو الحار، فضلاً عن الامتحانات التي لم يتبقَ لها سوى سبعة أيام. لماذا لا نستقل الحافلة على الأقل خلال فترة الامتحانات؟ نستطيع استغلال الوقت الضائع في المشي للدراسة أو مراجعة المواد. أشعر أن ذلك سيكون الحل الأفضل."

في تلك اللحظة، كان آدم ينظر للأمام، مركزاً على خطوته التالية دون أن يظهر عليه التعب الذي يملأ كريم. كان قد سمع هذا النقاش من قبل، وربما أكثر من مرة. بنبرة حازمة وبدون أن يلتفت إلى كريم، قال: "وأنا أعتقد أيضاً أننا سبق أن ناقشنا هذا الأمر وانتهى. أرجوك، لا تجعلني أكرر كلامي."

كان صوته يعكس الثقة التي يمتلكها في قراراته، ذلك النوع من الثقة الذي لا يترك مجالاً للنقاش.

لكن كريم لم يكن مقتنعاً، بل شعر أن كلمات آدم تزيد من وطأة الجو عليه. حاول أن يخفي غضبه خلف ابتسامة متوترة، لكنه لم يستطع منع نفسه من التفكير في مدى صعوبة الحياة عندما تصبح كل خطوة تحدياً بحد ذاته.

بعد لحظات من الصمت التي ثقلت كأعباء الحر على الأكتاف، قال كريم وهو يتوقف ليمسح العرق عن جبينه: "حسناً، كما تشاء. سوف أستقل الحافلة وأدعك تعود إلى منزلك وحدك. وعندها لن تنفعك رياضة المشي خاصتك." حاول أن يضفي جواً من المزاح على كلماته بإطلاق ضحكة خفيفة، وكأنه يتخذ من السخرية وسيلة للتخفيف عن نفسه. كانت ضحكته تجسد المثل الشائع "شر البلية ما يضحك"، لكنها كانت أشبه بمحاولة يائسة للهروب من الإحباط الذي كان يتراكم داخله

التزم آدم الصمت، و عيناه موجهتان نحو الطريق الأمامي كأنه غارق في عالمه الخاص، ولم تتغير ملامح وجهه. بدا وكأنه لم يسمع شيئاً من كلمات كريم، أو ربما اختار تجاهلها تماماً. كان ذلك الصمت بارداً، صمتاً يملأ الفراغ بينهما ويجعل المسافة المعنوية أكبر بكثير من المسافة الجسدية.

لم يعتد كريم على عدم رد صديقه، لذا تنفس بعمق وأكمل، غير قادر على كتمان تساؤلاته: "أنا أعجب وأتساءل باستمرار عن أمثالك يا آدم... أنت إنسان ناجح، متفوق، وفوق ذلك كله لديك نشاط بدني عالٍ. رغم أنني أدرس مثلك، أو لنقل أقل منك بقليل، لكن النتيجة النهائية دائماً ما تكون نجاحك وتفوقك، اما انا فلا اجد غير الفشل و الخذلان. هل يمكنك أن تجيبني عن تساؤلي دون أن تستهزئ بي، رجاءً؟"

تردد صوته في الأجواء للحظات. كانت تلك الكلمات أكثر من مجرد سؤال؛ كانت تعبيراً عن الإحباط العميق الذي تراكم في داخله. لم يكن يبحث عن إجابة مباشرة فحسب، بل عن تفسير لهذا الفرق الكبير بينهما، الفرق الذي يشعره دائماً بالضعف.

ظل آدم صامتاً طيلة الوقت، توقف فجأة. رفع عينيه ببطء ونظر إلى كريم نظرة طويلة، تحمل في طياتها بعضاً من الحيرة والكثير من التفكير. وأخيراً، قال بصوت هادئ لكنه حازم: "النجاح ليس مجرد درجات أو تفوق في الدراسة. إنه يتعلق بالعقلية... بطريقة تفكيرك، بإصرارك على العمل حتى عندما يبدو كل شيء ضدك." توقف قليلاً عن الكلام ثم أكمل بنبرته الهادئة المعروفة، التي اعتاد كريم عليها وكأنها جزء من

شخصيته الثابتة: "الأشخاص الذين يحبون الكلام مثلك، لا تجد النصيحة طريقها إلى عقولهم مهما بلغت من الأهمية."

لم يكن كريم مستعداً للتراجع بسهولة، فقاطعه بسرعة وبنبرة تحمل في طياتها استهزاءً واضحاً: "وهل ما ستقوله يستحق أن أسمعه بعقلي؟ أنت تقول نفس الكلام في كل مرة أطرح فيها هذا السؤال. لكن دعني أقولها بوضوح هذه المرة: أنت يا آدم شخص يريد الخير لنفسه فقط، ولا يريده لأحد سواه."

صمتت الكلمات للحظة كما لو أن الجو اشتد توتراً. كان كريم يشعر بالإحباط يشتعل داخله، ومضى في حديثه بصوت مرتفع بعض الشيء: "كيف يمكن لأستاذ الرياضيات أن يعيد الامتحان لك فقط لأنك نقصت فيه خمس درجات، بينما لا يعيده لي وأنا راسب وأحتاج فعلاً هذا الامتحان؟ كيف؟ هل يمكنك أن تجيبني؟" توقف قليلاً قبل أن ينطق بالكلمات الأخيرة، وكأنها كانت متجمعة على طرف لسانه لوقت طويل: "أنا متأكد أن أستاذ الرياضيات إنسان حقود وحقير."

كانت كلمات كريم مليئة بالمرارة، فهو لم يكن يهاجم آدم فقط، بل كان يحاول فهم الواقع الذي جعله دائماً يشعر بأنه أقل، واقع يقف فيه آدم متفوقاً ويحتفظ بكل الفرص، بينما هو يكافح دون جدوى.

في تلك اللحظة، كان آدم لا يزال واقفاً بملامح ثابتة، وأفكاره تتدفق بهدوء. لم يكن من النوع الذي ينفعل بسرعة، لكنه شعر بالضغط المتزايد في نبرة كريم، ذلك الضغط الذي طالما تجاهله. بعد لحظة من التفكير، قال بنبرة هادئة ولكنها أكثر جدية: "كريم، الحياة ليست دائماً عادلة، وأنا لا أستطيع التحكم في قرارات الآخرين، مثل أستاذ الرياضيات. لكن ما أستطيع التحكم به هو نفسي... والطريقة التي أتعامل بها مع هذه القرارات."

تلك الكلمات لم تكن فقط رداً على اتهامات كريم، بل كانت محاولة للتأكيد على رؤيته للحياة؛ رؤية لا تعتمد على العدالة الظاهرية، بل على الجهد الفردي والإصرار.

قهقه كريم بضحكة مستفزة قائلاً:" حتى في اختيار كلماتك تحاول دائماً التعالي على الآخرين"

نظر آدم إليه بنظرة غضب لم يستطع إخفاءها، فقد كانت كلمات كريم تطعن في شيء أساسي بالنسبة له. بدون أن يحاول تهدئة نفسه، قال بصوت مليء بالحزم: "بالنسبة لتعامل الأساتذة معي، فهذه مسألة تعود إليهم شخصياً، وأنا لم أطلب منهم شيئاً خاصاً. أما كوني لا أفكر إلا في نفسي، فلا أسمح لك نهائياً أن تصفني بالمقصر تجاه أصدقائي. أنا لم أقصر معك ولا مع غيرك.

" توقّف لحظة، ثم واصل بغضب أشد: "لكنك قبل قليل شتمت أستاذ الرياضيات بطريقة قبيحة جداً لا تليق بشخص يحترم نفسه. أنت فعلاً جاهل وعديم الأخلاق. كيف تصف الأستاذ بهذه الأوصاف؟"

كانت كلمات آدم كالصفعة لكريم، الذي شعر بإحراج وغضب يتصارعان داخله. لكن بدلاً من أن يهدأ، ارتفع صوته في تحدٍّ وقال: "إنه يستحق أكثر من ذلك! لو أنني لم أسكت له في ذلك اليوم عندما صرخ في وجهي لنسياني كتابي، لعرفت كيف أرد عليه. لقد أذلني أمام الجميع بسبب خطأ بسيط."

كان الجو بينهما قد اشتعل توتراً أكثر من أي وقت مضى. كريم لم يكن يستطيع التراجع، والغضب كان يغذّي كلماته. بينما آدم، رغم غضبه الواضح، كان يحاول التمسك بموقفه المعتاد، الهادئ والحازم في الوقت نفسه. في تلك اللحظة، كانت الصداقة بينهما على المحك، بين كلمات متبادلة ومشاعر مكبوتة طفت على السطح فجأة. وقف آدم ثابتاً أمام كريم، وكأن الأرض قد اهتزت تحت أقدامهما. نظر إليه بعينين مليئتين بالتحدي، ثم قال: "اسمع يا كريم، لا أريد أن نكمل الطريق معاً. سأذهب من هذا الطريق وأنت تكمل طريقك وحدك، لأنك اليوم على غير عادتك وتريد أن

تفتعل المشاكل مع أي شخص يخالفك الرأي." كانت نبرته جدية، وكأن القرار اتخذ في لحظة. بعد أن ابتعد آدم قليلاً، شعر أن الابتعاد كان ضرورياً للحفاظ على كرامته وهدوءه. لكن قبل أن يبتعد عن أنظار كريم، أضاف بصوت هادئ ومسموع، كأنه يمازحه: "لا تنسى أن تنام مبكراً الليلة، لأنني أرى أن السهر قد أذهب عقلك إلى لقاء..."

كانت كلمات آدم تحمل في طياتها مزيجاً من الدعابة والجدية، لكن كريم لم يشعر بالراحة. بل شعر بأن المزاح لم يعد مناسباً في تلك اللحظة. على الرغم من أن الضحكة التي رافقت جملته كانت بمثابة محاولة للتهوين، إلا أن الوضع بينهما كان قد تفكك بشكل لا يمكن إصلاحه بسهولة.

وبعد ان استدار ادم و مشى بضع خطوات سمع كريم يقول له بحنق وكأنه لا يزال متمسكاً بغضبه: "أنت لا تفهم ما أشعر به، أليس كذلك؟ تظن أن الأمور بسيطة، لكن كل ما يحدث حولنا يؤثر علينا، ويجب أن تفهم ذلك."

رد آدم، الذي كان قد وضع مسافة بينه وبين صديقه ، بهدوء: "أفهم، لكن الغضب لن يحل شيئاً. حاول أن تفكر في الأمور بطريقة أخرى، فالأشخاص الذين يتصرفون بطيش لا يفوزون في النهاية."

شعر كريم بأن كلماته الأخيرة كانت مثل رذاذ الماء البارد على نيران غضبه، لكنها لم تخفف من مشاعره. استدار ببطء، وحاول أن يتجاوز مشاعره، لكن في أعماقه كان يعلم أن العلاقة بينهما قد تكون في مفترق طرق.

وبعد أن باعدت مسافة الطريق بينهما، دمدم كريم قائلاً: "كم أنت مغرور يا آدم! ليتني لم أعرفك قط." كانت كلماته تنبع من إحباط عميق، حيث كان يشعر بالخيانة من صديق اعتاد أن يشاركه همومه وأفكاره. وبعد تلك العبارات الحادة، قرر أن يستغل الوقت بالتفكير في حل مشاكله الدراسية، لكن ذهنه كان لا يزال مشغولاً بمشاعر الغضب والإحباط.

بالنسبة للطريق، لم يكن بهذا الطول، لكن كريم، المراهق الكسول، كان يميل إلى المبالغة في تكبير الأشياء التي تتطلب منه مجهوداً. كان يسير على الرصيف، لكن كل خطوة كانت تبدو وكأنها رحلة شاقة، وعقله مشغول بالأفكار السلبية.

وبينما هو غارق في بحر أفكاره، شارد الذهن وسارح عن الواقع، أحس بدوار مفاجئ. بدأ يرى البنايات والمحلات على جانبي الطريق تتأرجح في عينيه، وكأن الأرض تحت قدميه تميد.

لم يدرِ كيف حدث ذلك، لكن فجأة فقد توازنه وسقط أرضاً. لم يعرف كم استغرقت اللحظات قبل أن يفتح عينيه مجدداً. كانت الرؤية مشوشة، وكأن كل شيء حوله يطفو في ضباب كثيف. حاول أن يفهم ما الذي يحدث، ناظراً في كل الجهات بقلق. لكن بعد لحظات، بدأت الأمور تتضح قليلاً؛ اتضح أن الليل قد حل، والسماء التي كانت زرقاء مشمسة قد امتلأت الآن بالغيوم السوداء، وسط غبار ضبابي يميل للون الرمادي.

لكن ماذا حدث للبنايات والمحلات؟ لماذا لونها غريب؟ تساءل في نفسه بينما كان يحاول استعادة وعيه. نظر أمامه، وإذا بشجرة عملاقة بيضاء، ذات قوام غريب وعجيب، تخرج من الأرض أمامه. كانت الشجرة كأنها تلمع في ظلام الليل، وعند قاعدتها نبتت شجيرات صغيرة تتدلى منها كرات تشبه الجماجم، تتراقص ببطء في هدوء مميت. ظل كريم ينظر بنظرات شاخصة مرتعبة إلى هذا الشيء العظيم، الذي كان يجمع بين الشكل والمظهر المرعب والعجيب في نفس الوقت. كانت الشجرة وكأنها تروي قصة غامضة، وتخفي أسراراً في جذورها العميقة، لكنه لم يكن قادراً على فهمها. في تلك اللحظة، تجمعت الأفكار في عقله كالسحاب، وكان يشعر بخوف يزداد في قلبه، وكأنه وقع في عالم غير مألوف.

لكن المشهد لم يدم طويلاً. فجأة، بدأت الشجرة تهتز، وكأنها تتفاعل مع وجوده. شعر بأن الأرض أيضاً تهتز لاهتزاز الشجرة، وعندما أدرك ذلك، بدأ الذعر يتملكه. كل شيء حوله أظلم بشكل مفاجئ، وكأن الظلام يبتلع الضوء، مما جعله يشعر بأن العالم من حوله ينهار.

فتح عينيه فوجد أحد الأشخاص يهزه برفق، بينما كانت كلماته تأتيه بصوت مبحوح وكلمات متقطعة: "هل أنت بخير يا بني؟ هل أنت بخير؟" كان الصوت مألوفاً، لكنه لم يكن قادراً على تذكره. تردد صدى السؤال في ذهنه، وكأن الحياة تعود إليه ببطء.

استغرق الأمر منه لحظات ليجمع أفكاره، حاول أن يرد عليه، لكن الكلمات تاهت في حنجرته، ولم يكن متأكداً من كيف أو متى يمكنه العودة إلى الواقع أو إن كان قد عاد إليه بالفعل.

حاول أن ينظر حوله ليتأكد أن كل شيء قد اختفى، لكنه لا يزال يشعر بالارتباك والخوف الذي علق في قلبه. كانت الصور الغريبة للشجرة وما حولها تتلاشى ببطء، لكنه كان لا يزال بحاجة إلى التأكد من عودته إلى الواقع. بعد لحظات من التردد، سأل بصوت مضطرب: "ماذا حدث؟"

قال الرجل الغريب، الذي كان يقف بجانبه، بهدوء: "وجدتك ساقطاً على الأرض. يبدو أنك فقدت وعيك، وأعتقد أن حرارة الشمس هي السبب. كيف تشعر الآن؟"

لم يهتم لكلام الرجل، فقد كان في حالة من الرعب وعدم الاتزان. كل ما أراده في تلك اللحظة هو الخروج من هذا الموقف الغريب. فقال بلهجة يائسة: "هل يمكنك، يا سيدي، أن توصلني إلى منزلي، من فضلك؟"

رد الرجل الغريب بصوت مبحوح، مفعم بالغرابة كواقع حال المشهد: "بالطبع، سأساعدك. لكن هل منزلك بعيد عن هنا؟"

أجاب كريم بسرعة، محاولاً احتواء مشاعره: "أجل، إنه بعيد." كانت كلماته تعكس الإلحاح، فهو فقط أراد العودة إلى منزله، إلى مكان يشعر فيه بالأمان.

حرك الرجل الغريب رأسه بتفهم، وقال: "منزلي قريب جداً من هنا، فلماذا لا تأتي معي لترتاح وتأكل شيئاً؟ أعتقد أنك لم تتناول الغداء، أليس كذلك؟"

تردد للحظة، لكنه شعر بأن هذا الاقتراح غير مريح. لم يكن يريد أن يتورط في المزيد من المواقف الغريبة بعد تلك التجربة المرعبة.

فأجاب بأدب، محاولاً أن يبدو طبيعياً: "نعم يا سيدي، لكني أشعر الآن بتحسن. لذا سأكمل الطريق وحدي. شكراً لك على لطفك معي."

قال هذا بسرعة، وابتعد عن الرجل، الذي ظل واقفاً في مكانه، يراقب كريم وهو يبتعد. كان هناك شيء غريب في ذلك الرجل؛ رغم مساعدته، إلا أن كريم شعر بعدم الارتياح الشديد له. وبينما كان يخطو بعيداً، شعر بأن نظرات الرجل كانت لا تزال تلاحقه، كأنها ثقل على كتفيه.

استمر في المشي، آملاً أن يسيطر على دقات قلبه المتسارعة، وكان ذهنه مشوشاً بتلك التجربة التي مر بها. تساءل في داخله عمّا إذا كان كل هذا حقيقياً، أم أنه مجرد خيال نتيجة التعب والإرهاق. لكن شيئاً واحداً كان واضحاً له؛ عليه أن يبتعد عن هذا الرجل وعن أي شيء غريب قد يصادفه في الطريق.

كانت والدة كريم في حالة من الانتظار والقلق، تقف خارج المنزل، تتنقل بين النظر إلى الشارع والتحديق في ساعة يدها، التي كانت تشير إلى الواحدة ظهراً. لم تعتد تأخر ابنها إلى هذا الوقت، مما زاد من توترها. فجأة، سمعت صوتاً مألوفاً، فنظرت بسرعة لترى كريم وهو يقول بابتسامة خفيفة: "مرحباً أمي."

بمجرد رؤيته، لم تستطع الأم كتم قلقها وبدأت تطرح عليه سيلاً من الأسئلة: "أين كنت؟ وما سبب تأخرك؟ ولماذا ملابسك متسخة؟ لا تقل لي أنك تشاجرت مع أصدقائك من جديد؟"

لكن كريم، الذي كان يشعر بالتعب والارتباك بعد كل ما مر به في ذلك اليوم، أنهى المحادثة بجملة واحدة: "لن أجيب على أي سؤال حتى تحضري لي الطعام."

صعد مباشرة إلى غرفته في الطابق الثاني، متجنباً المزيد من النقاشات. بعد أخذ حمام سريع، شعر ببعض الراحة الجسدي، لكن ذهنه كان لا يزال مزدحماً بتلك الأحداث الغريبة. دفع باب غرفته بقوة ليغلقه، ثم رمى نفسه على سريره، دافناً وجهه في وسادته. غرفته كانت تجسد تماماً تناقضات شخصيته، التي تفيض بالقلق والإحباط والتطلعات غير المحققة. عند دخول الغرفة، تلاحظ أن الجدران مُطلية بلون رمادي باهت، يُعبرعن حالة من الضياع والملل. الإضاءة فيها كانت خافتة، وكأنها تعكس حالته النفسية، حيث يُفضل أن يتجنب الضوء الساطع الذي يُظهر عيوب المكان كما يُظهر عيوبه الداخلية، و المرآة الدائرية الكبيرة التي لطالما كره النظر فيها ،السرير كان مُلقى في أحد الزوايا، مع غطاء مُهمل، يتناثر عليه بعض الملابس غير المرتبة. يُظهر هذا الفوضى كيف أنه يعاني من ضغوط الحياة، حيث لا يجد الدافع لترتيب أشيائه أو حتى لنفسه. الوسائد كانت

مُبعثرة، مما يُعبر عن ليلة من الأرق والأفكار المتراكمة التي لا تنتهي.

المكتب في الزاوية كان فوضوياً، مغطى بأوراق مُتناثرة ودفاتر مليئة بالملاحظات والتخطيطات العشوائية. تُظهر هذه الفوضى عدم تنظيم أفكاره، إذ كان غالباً ما يشعر بالقلق وعدم القدرة على التركيز. في بعض الزوايا، كان هناك علب فارغة من المشروبات، والتي تدل على قضاء ساعات طويلة في الدراسة أو الاستغراق في التفكير، دون أن يُعطي لنفسه فرصة للراحة.

الصور المُعلقة على الجدران كانت تحمل لحظات سابقة من ، لكنها بدت مشوشة، كما لو كانت تُحاول إخفاء ألم داخلي. كانت صور العائلة والأصدقاء تُعبر عن حنينه إلى الأيام الأفضل، لكنه كان يشعر وكأن تلك اللحظات بعيدة المنال.

النافذة الصغيرة، التي تُفتح على منظر الحديقة، كانت مُغطاة بستائر داكنة، تُعكس ميله للانغلاق على نفسه. كانت الستائر تمنع دخول الضوء الطبيعي، مما يُضفي شعوراً بالكآبة على الغرفة. من خلال تلك النافذة، كانت تُسمع أصوات الضحكات من الخارج، والذي كان يزيد من شعوره بالعزلة.

على الأرض، كانت هناك سجادة قديمة ومُهملة، تظهر علامات الإهتراء، وكأنها تُعبّر عن رحلة طويلة من الألم والمعاناة. بين هذه الفوضى، كان هناك كتاب مفتوح على الأرض، مُعبراً عن محاولة للبحث عن مهروب في عالم من الخيال، لكنه في الوقت نفسه كان دليلاً على عدم إكماله لمسيرته.

بشكل عام، كانت الغرفة تجسد حياته الداخلية المليئة بالصراعات والقلق، حيث يُظهر المكان حالة من الارتباك والإحباط، مع بعض اللمسات التي تُعبر عن تطلعاته الخفية. كانت غرفة مليئة بالأحلام المكسورة والآمال المفقودة، كما تُعبر عن كونه في معركة مستمرة مع نفسه. كان الصداع الخفيف الذي بدأ يلازمه يزيد من شعوره بالإرهاق، بينما تشتت أفكاره بين الحلم الغريب الذي عاشه والرجل الغامض الذي قابله.

حاول الاسترخاء، لكن عقله كان يرفض الهدوء. تذكر الشجرة البيضاء العملاقة والاهتزازات التي شعر بها، وأحس بأن هناك شيئاً لم يفهمه بعد، وكأن تلك اللحظات لم تكن مجرد حادثة عابرة. بدا له أن ما حدث اليوم يحمل وراءه شيئاً غامضاً، أكبر من مجرد تعب أو ضربة شمس.

بالطبع، لا زال غارقاً في أفكاره وهو مستلقي على سريره، يشعر بأن ما حدث قبل قليل بالتأكيد ليس امراً طبيعياً. كانت الأفكار تتجمع في ذهنه بطريقة غريبة، تتشابك لتكون سيناريوهات مرعبة. تساءل مع نفسه: "هل يمكن أن يكون كلام الرجل الغريب صحيحاً؟ هل فعلاً حرارة الشمس هي السبب؟"

تذكر ما قرأه ذات مرة في إحدى المقالات: أن التعرض الطويل لحرارة الشمس قد يسبب الهلوسة والهذيان، وفي أسوأ الأحوال، قد يصل إلى فقدان الوعي. محاولاً إقناع نفسه بذلك، كان هناك شيء آخر لا يستطيع تجاهله. "لكن مهلاً..."

فجأة، تركز تفكيره على الرجل الغريب. "ذلك الرجل الذي ساعدني... لماذا لم ألاحظ شكله جيداً؟" حاول استرجاع تفاصيل ملامحه، لكن الصورة بدت ضبابية، وكأنه لم يكن قادراً على تذكر أي شيء واضح. "كيف لم أنتبه إلى وجهه؟"

لكن الأمر الذي أربكه أكثر هو صوته.

"لسبب ما، أشعر أنني سبق أن سمعت ذلك الصوت من قبل." هذا الإحساس كان يعزز شعوره بالغموض.

"لا أدري كيف أو متى، لكني متأكد أني أعرف ذلك الصوت."

كانت تلك الفكرة تدور في رأسه وتعيده إلى نقطة البداية. ماذا لو كان هذا الشخص الغريب أكثر من مجرد رجل عابر؟ ماذا لو كان هناك شيء أكبر يحدث، شيء يتجاوز تفسير حرارة الشمس والدوار؟

بدأ كريم يشعر بأن هناك سراً مخفياً خلف كل ما جرى، وأن هذا الرجل الغامض قد يكون جزءاً من ذلك السر.

وفي أثناء غرقه في أفكاره المتشابكة، سمع كريم صوت باب غرفته يُفتح ببطء، فشعر بتيار بارد يجري في عروقه. سلط بصره مباشرة نحو الباب، الذي كان ينفتح ببطء شديد. انتظر لحظة، لكنه لم يجد أحداً. "إذاً كيف فُتح الباب؟" تساءل في داخله بقلق.

تردد للحظة، ثم نهض بسرعة ليتفقد الأمر. "هل يعقل أنني لم أغلقه جيداً؟" لكنه كان متأكداً تماماً أنه أغلق الباب بإحكام عندما دخل.

شعر بحاجة ملحة لتأكيد سلامة الموقف، فنزل إلى الطابق السفلي بخطوات متسارعة. هناك، وجد والدته منهمكة في تحضير الطعام له. تنهد بارتياح خفيف، لكنه لم يترك تلك الأفكار الغريبة تذهب تماماً. بعد لحظات، توجه إلى غرفة زوج أمه، فوجده غارقاً في النوم العميق.

عاد إلى غرفته، وجلس على سريره محاولاً أن يستوعب ما يحدث. ما الذي يجري بالفعل؟ هل يتخيل الأمور بسبب إرهاقه، أم أن هناك شيئاً غير طبيعي؟ وبينما كان يحاول تهدئة أفكاره، سمع صوت خطوات تقترب من باب غرفته. هذه المرة كانت الخطوات واضحة وثابتة.

رفع رأسه بحذر نحو الباب، لكن هذه المرة كانت والدته هي من دخلت، حاملةً أطباق الطعام. شعر ببعض الراحة عندما رآها، وقد اختفى الشعور الغامض الذي تملكه قبل قليل.

"ها هو الطعام، لقد تأخرت قليلاً لأنني أردت أن أعد لك شيئاً مغذياً بعد يومك الطويل." قالت والدته بابتسامة لطيفة.

رد بابتسامة متعبة، محاولاً إخفاء قلقه، وقال: "شكراً يا أمي، كنت بحاجة إلى ذلك."

في تلك اللحظة، قرر أن يترك تساؤلاته حول الباب جانباً، على الأقل مؤقتاً، وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يبدأ في تناول طعامه.

فقالت الأم، وهي تنظر إليه بنظرة مزيج من الفضول والقلق: "ماذا الآن؟ هل ستخبرني عن سبب تأخرك؟"

ضحك بطريقته البريئة المعتادة، محاولاً التخفيف من التوتر: "لقد دخل علينا اليوم في الدرس الأخير مدير المدرسة، وطلب خمس متطوعين لمساعدته في تنظيف وترتيب المدرسة قبل الامتحانات. مقابل ذلك، سيتم مساعدة الطلاب المتطوعين في درجات النشاط اليومي. وأنت تعلمين يا أمي كم أنا بحاجة إلى هذا الدعم."

ابتسمت الأم بلطف، قائلة: "حسناً، خيراً ما فعلت. يبدو أن هذا جهد جيد منك، وأنا سعيدة لأنك تساعد وتفكر في مستقبلك." ثم أضافت وهي تستعد للذهاب: "سأذهب لأنام الآن، لكن لا تنسَ أن تضع الأطباق في المطبخ فور انتهائك من الطعام."

رد بسرعة: "حسناً، يا أمي، لا تقلقي."

راقب والدته وهي تغادر الغرفة، وشعر ببعض الراحة لكونه استطاع أن يهدئ قلقها. ولكن بينما كان يأكل بهدوء، عاد ذهنه مجدداً إلى الأحداث الغريبة التي مر بها. تذكر الباب الذي فتح لوحده، والرجل الغريب الذي قابله في الطريق. لم يكن بإمكانه تجاهل الشعور الغامض الذي يلاحقه، لكنه كان يعلم أن هذا ليس الوقت المناسب للتفكير في ذلك.

قرر أن ينهي طعامه بسرعة لأهمية الوقت، أما بالنسبة لكذبه، فإنه لم يشأ أن يخبر والدته بحقيقة ما رأى، لأنه يعلم جيداً أن الناس إذا سمعوا مثل هذه الأمور، فإن ردود أفعالهم لن تكون في صالحه. إما أن يسخروا منه، أو يصفوه بالمجنون. كان على يقين بأن والدته، رغم حبها له، لا تختلف عن الآخرين عندما يتعلق الأمر بتصرفاته الغريبة. ولذلك، فضل الصمت وتجاهل الأمر.

لكن رغم كل ذلك، شعر ببعض الراحة بعد الحديث القصير الذي دار بينه وبين والدته. ربما لأنها كانت اول لحظة طبيعية في يومه، مما ساعده على التخلص من بعض القلق والخوف الذي كان يثقل كاهله. حاول أن يعود للتفكير بطريقة أكثر منطقية، مقنعاً نفسه أن ما رآه قد يكون مجرد نتاج لإرهاقه الشديد أو تأثير الشمس.

"لا داعي لأن أضخم الأمور أكثر من اللازم." قال لنفسه بصوت خافت، وهو يقرر أخيراً أن يترك كل تلك الأفكار المشتتة. "عليّ التركيز على دراستي، فهي الأهم الآن."

كانت الامتحانات على الأبواب، ولم يتبق سوى أيام قليلة. لذلك، قرر أن يعوض الوقت الذي ضاع منه اليوم بالاستمرار في الدراسة حتى الثانية بعد منتصف الليل. وضع خطة لتنظيم وقته

واستعادة تركيزه، وشعر ببعض الراحة النفسية عندما اتخذ هذا القرار.

بينما كان يستعد لإحضار كتبه والجلوس لمراجعة الدروس، بدأ شعور جديد يتسلل إليه: شعور بالتحدي. أراد أن يثبت لنفسه، بعد كل ما مر به، أنه قادر على السيطرة على الأمور والنجاح في الامتحانات.

في تمام الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم، كانت غرفة كريم تغمرها هالة من التركيز الصامت، بينما هو منهمك في دراسته. كان يحاول الهروب من التفكير في الشجرة الغريبة التي رآها، دخلت والدته لتقطع صمته قائلة: "كريم، صديقك آدم يقف عند باب المنزل."

تفاجأ عندما سمع ذلك، إذ أن آدم عادة ما يكون شديد الانضباط ولا يخرج من منزله في مثل هذا الوقت قبل الامتحانات. كان ذهنه مليئاً بالأسئلة: "كيف يمكن لهذا الأمر أن يحدث الآن؟ لماذا خرج آدم في هذا التوقيت الغريب؟"

رد محاولاً إخفاء دهشته: "نعم يا أمي، كنت أنتظره لندرس معاً."

خرج من غرفته بخطوات حذرة، متجهاً إلى الباب. عندما فتحه، وجد آدم واقفاً أمامه، ولكن منظره كان غير مألوف.

وجهه شاحب، وملابسه غير مرتبة، وعيناه تبدو وكأنهما قد عانتا من قلة النوم. الأسوأ من ذلك، كان يبدو وكأنه كان يركض قبل وصوله.

قال آدم بصوت مبحوح غريب، صوت لم يعتد كريم سماعه من قبل: "أرجوك يا كريم، أدخلني، وسأشرح لك كل شيء."

ارتسمت ملامح الاستغراب على وجه كريم، لكنه قرر أن يثق بصديقه على الرغم من غرابة الموقف. أجاب بتردد: "حسناً، تفضل."

فتح الباب بالكامل ودعا آدم إلى الداخل، لكنه لم يستطع تجاهل الشعور بأن هناك شيئاً غير طبيعي يحدث. "ما الذي يدفع آدم ليأتي في هذا التوقيت وبمثل هذه الحالة؟" تساءل في داخله، وهو يراقب صديقه بينما كان يدخل المنزل.

حاول أن يُدخل آدم إلى غرفته دون أن تلاحظ والدته، حتى لا تطرح عليهما سلسلة من الأسئلة التي قد تُزعجهما. وبالفعل، تسلل الصديقان بسرعة إلى غرفة كريم، الذي أغلق الباب خلفهما بإحكام. جلسا على السرير متقابلين، بينما سيطر الصمت على المكان لوهلة. كان كريم يشعر بأن شيئاً ما غريب في هذا اللقاء، لكن لم يكن لديه أي دليل على ذلك بعد.

بعد لحظات من الترقب، ظهرت على وجه آدم ابتسامة غريبة، كأنها مليئة بالسخرية أو ربما بشيء أعمق وأكثر خطورة. قطع كريم الصمت أخيراً قائلاً بنبرة مرحة، لكنها محاطة بالحذر: "حسناً، ما سبب زيارتك في هذا الوقت الغريب؟"

لكن رد آدم كان بعيداً كل البعد عن المتوقع. قال بصوت بارد، لكنه يحمل شيئاً من التهكم: "ألم تفهم بعد أيها الغبي؟"

نظر كريم إليه بارتباك، مستغرباً من تصرف صديقه غير المعتاد. سأل بحذر أكبر: "وماذا كان يجب أن أفهمه؟"

نظر إليه آدم بنظرة حادة جعلت كريم يشعر بالقشعريرة تسري في جسده، قبل أن يقول بهدوء مرعب: "أنا لست آدم... ولست صديقك."

تجمد كريم في مكانه للحظة، وكأن قلبه توقف عن النبض. لم يستطع استيعاب ما سمعه. "ماذا يعني هذا؟ هل هذه مزحة؟" تساءل في داخله، محاولاً تفسير الموقف.

لكن تلك الابتسامة الغريبة التي لم تغادر وجه آدم كانت تدل على شيء أقرب للرعب منه للمرح.

رد كريم بنبرة متوترة ومشحونة بالغضب: "اسمع يا آدم، إذا كانت هذه إحدى المزح السخيفة، فعليك أن تعلم بأنك اخترت الوقت الخاطئ تماماً. إن لم تتوقف عن ذلك وتزيل تلك الابتسامة السخيفة عن وجهك، فسوف تسمع مني كلاماً لن يعجبك."

لكن آدم، أو من كان يتحدث بلسان آدم، لم يبدُ عليه أي تغيير في تعبيراته. استمر بنفس الابتسامة المرعبة وقال: "أنا الرجل الغريب الذي ساعدك اليوم."

كاد قلب كريم يتوقف. تراجع قليلاً إلى الخلف وهو يحاول أن يستوعب ما سمعه. قال بصوت مختنق: "أنت تمزح، صحيح؟ أرجوك توقف، لقد بدأت تخيفني فعلاً."

أجاب آدم، أو هذا الكيان الغريب الذي يدعي أنه الرجل الغريب: "لو ظهرت إليك بشكلي الحقيقي، لفقدت وعيك من شدة الخوف. لذا اخترت أن أتي إليك بهيئة صديقك حتى أخفف من خوفك وأتمكن من التفاهم معك."

لم يعد كريم يعرف كيف يتصرف. المشاعر المختلطة من الخوف والارتباك تداخلت داخله. "هل أنا أحلم؟ هل هذا كابوس؟" تساءل في نفسه وهو ينظر إلى هذا "الكيان" الجالس أمامه. الجو في الغرفة أصبح خانقاً، وكأن الهواء أصبح ثقيلاً.

"ومن تكون؟" سأل بصوت مضطرب، محاولاً السيطرة على أعصابه.

أجاب "الكائن الغريب" ببرود: "أنا صاحب الشجرة التي رأيتها اليوم."

صُدم كريم حين سمع هذه الكلمات. تجمد للحظة وهو يحاول استيعاب الموقف. "كيف عرف ذلك؟" فالشجرة الغريبة التي رآها لم يخبر أحداً عنها، ولم يكن هناك أي تفسير منطقي يجعل شخصاً آخر يعرف هذا الأمر.

في تلك اللحظة، تأكد بأن الكائن الجالس أمامه ليس صديقه آدم، بل شيء آخر تماماً. بدأ جسده يرتعش وهو يشعر برعب حقيقي يتسلل إلى داخله. بنبرة مرتعشة وبالكاد استطاع أن ينطق، سأل: "ماذا تريد مني؟"

نظر "الكائن الغريب" إليه بعينين غريبتين، تحملان في طياتهما غموضاً لم يستطع كريم تفسيره، ثم قال بهدوء: "أريدك أن تفهم. أن تدرك أن ما رأيته ليس مجرد خيال أو هلوسة بسبب الشمس."

"وعليك أن تسمع ما سأقول جيداً. إن الشجرة التي رأيتها اليوم صُنعت من عظام البشر، وقد استغرق صنعها مني تسعين سنة."

تجمد كريم في مكانه، وشعر ببرودة تسري في عروقه. فسأل بصوت مقطوع بالخوف: "عظام!"

"كيف حصلت على العظام؟"

أجاب الكائن بصوت هادئ، لكنه يحمل رعباً: "من عظام الموتى في القبور وبعض الأحياء."

تدحرج سؤال آخر في ذهن كريم كحجر يسقط فجأة. "كيف تحصل على عظام الأحياء؟" كان السؤال يتردد في داخله، لكنه لم يستطع إخفاء الرعب الذي يتغلغل في كلماته.

"آه، هذا هو الجزء الأكثر تعقيداً،" أجاب الكائن، مبتسماً ابتسامة غامضة. "هناك من يختار أن يبيع روحه مقابل القوة أو الخلود، ومن ثم أستطيع الحصول على ما أحتاجه."

بدأ كريم يشعر وكأن الأرض تتزلزل تحت قدميه. "هذا مستحيل!" فكر في نفسه، بينما كانت أفكاره تتشابك بين الخوف والرعب. "هل من الممكن أن يكون هناك أشخاص فعلاً يوافقون على ذلك؟"

نظر إليه بعيون مملوءة بالقلق. "لكن لماذا تفعل هذا؟ ما الغرض من هذه الشجرة؟"

رد الكائن بصوت هادئ ومرتجف: "هذه الشجرة بوابة لعالم آخر، عالم من الظلام والقوة. و انت، جزء من هذه الخطة."

ضحك الكائن الغريب وقال بنبرة مريبة. " اما عن كيف نحصل على العظام فمن خلال افتعال حادث معين، يُبتر فيه الجزء الذي أحتاجه. قد يكون عظماً من إصبع اليد أو القدم، أو يداً كاملة، أو ساقاً كاملة، أو مجرد سن. يحدث ذلك دون موت الشخص المختار."

تجمدت ملامح كريم من شدة الخوف، وكأن الكلمات التي سمعها قد تجمدت في عقله. "لماذا أنا؟" سأل بصوت متقطع، كأنه يحاول استيعاب ما يحدث.

ابتسم الكائن ابتسامة غامضة، عينيه تتألقان بشيء من الشر.
"لأنك تحمل في داخلك شيئاً مميزاً. لديك قدرة على التواصل مع العالم الآخر، القدرة التي تجعل منك هدفاً مثيراً للاهتمام بالنسبة لي."

شعر كريم بالقلق يتسلل إلى أعماقه. "لكنني مجرد مراهق عادي! كيف يمكنني أن أكون مهماً إلى هذا الحد؟" سأل، محاولاً أن يوضح مخاوفه.

أجاب الكائن بصوت هادئ، لكنه يحمل ظلالًا من التهديد: "تظن أنك عادي، لكنك تجهل الكثير عن نفسك. أحياناً، تكون الأمور الأكثر شيوعاً في الظاهر تحمل أسراراً لا يراها إلا القليلون. لقد جئت إليك اليوم لأنك المفتاح لما أسعى إليه."

استمر الكائن في حديثه، كأنه يتحدث عن شيء عادي: "أستطيع أن أرى ما في داخل جسدك بوضوح تام، حتى أنني الآن أرى قلبك وهو يخفق بشدة. أما بالنسبة لسبب اختياري لك، فلقد لاحظت عند ولادتك انحرافاً بسيطاً في عمودك الفقري. هذا الانحراف يناسب تماماً الجزء الأخير من شجرتي. لقد انتظرت وصولك إلى عمر السابعة عشر، وبعد ثلاثة أيام، في الساعة الثانية عشرة من ليلة اليوم الثالث، يكتمل نمو عمودك الفقري بالشكل والحجم والطول المناسب."

كادت عينا كريم تخرج من محجريها، وهو يحاول استيعاب ما يقوله الكائن. "لا، لا، هذا غير ممكن!"** صرخ كريم صرخة داخلية مليئة بالخوف والغضب.

تابع الكائن، وكأنه لم يسمع صراخه: "لذا يجب عليك، قبل خمس دقائق من الموعد، أن تنتحر. هذه هي الطريقة الوحيدة لتزويد شجرتي بما تحتاجه."

تجمدت الكلمات في فم كريم، وشعر بأن العالم من حوله ينهار. "لماذا تفعل هذا؟ كيف يمكنك أن تطلب مني مثل هذا الشيء؟"

ابتسم الكائن بشكل مخيف، مع نبرة من الاستهزاء في صوته: "لأنني بحاجة لك، ولا يوجد خيار آخر."

أصبح الألم والذعر يسيطران على كريم، وهو يحاول التفكير في مخرج من هذا الموقف الرهيب. "هذا ليس طريقي، ليس لي!" تمتم في نفسه، بينما كانت الأفكار تدور في عقله كعاصفة هوجاء.

أخرج الكائن الغريب من يده بذرة سوداء، وكانت تبدو وكأنها مشعة بظلال قاتمة. "يجب أن تبلع هذه البذور لتنتحر،" واكمل ببرود شديد قائلاً. "فقد تفسد القطعة الأخيرة من تحفتي الفنية بغبائك إذا تركتك تقتل نفسك بطريقتك."

رد كريم بنبرة حزينة ممزوجة بالخوف، محاولاً السيطرة على مشاعره المتلاطمة: "وماذا إذا لم أنفذ ما طلبت؟"

ابتسم الكائن، وكانت ابتساماته تزداد عرضاً كلما سأل كريم سؤالاً حتى ظهرت جميع اسنانه و اتسعت عينيه تماماً لكن

الابتسامة هذه المرة كانت تحمل في طياتها تهديداً واضحاً. "إذا لم تفعل، فسأضطر إلى اتخاذ خطوات أخرى.

لديك ثلاثة أيام فقط، وخلال هذه الأيام سأراقبك." كانت كلمات الكائن كالسيف الذي يقطع الأمل في قلب كريم.

كانت رغبته في الحياة تتصارع مع الخوف من المجهول. "لكن لماذا أنا؟ لماذا تفعل هذا؟" طرح نفس السؤال دون وعي منه وصوته يرتجف من الرعب.

"لأنك استثنائي،" أجاب الكائن بحسم. "لأنني رأيت فيك شيئاً لا يراه الآخرون. وإذا لم تكن جزءاً من شجرتي، فإنك ستكون ضحية لأهدافي الأخرى. هذا خيارك، لكن تذكر، الوقت يمر."

شعر كريم بأن الأرض تتلاشى تحت قدميه. "أنا لا أريد أن أكون جزءاً من لعبتك الشيطانية! "صرخ، لكن صوته كان خافتاً وكأن الرعب قد استولى عليه بالكامل. "وماذا لو لم أنفذ ما أردته مني؟ هل ستقتلني بنفسك؟"

ضحك الكائن ضحكة غريبة، وكأنها تنبع من أعماق الظلام، ثم قال: "سوف تتمنى الموت، سوف تنسى طعم الهدوء، سوف ينتهي بك الأمر في غرفة بيضاء، مقيد اليدين والساقين، ولا تستطيع سوى أن تضرب رأسك بالحائط. ولا تقلق، لن تكون وحدك، فأنا أحب أن أشارك المجانين غرفهم."

تجمد كريم في مكانه، وكأن الكلمات كانت تنفذ إلى أعماق روحه. "لا! لا أريد ذلك!" تمتم في نفسه، لكن في تلك اللحظة، شعر وكأن شيئاً ينهار داخله.

ثم، بشكل مفاجئ، انفتحت نافذة الغرفة بشدة، مما جعل هواءً بارداً يدخل إلى الغرفة. وفي غمضة عين، اختفى الكائن الغريب من أمامه، تاركاً إياه في حالة من الذهول والرعب.

نظر إلى البذرة السوداء بين يديه، وبدأت أفكاره تدور في دوامة من الخوف والارتباك. "هل حقاً سأصبح جزءاً من هذه اللعبة؟" تردد السؤال في ذهنه، لكنه سرعان ما أدرك أنه لم يعد هناك مهرب. الوقت ينفد، وقراراً حاسماً ينتظره.

وقف على قدميه بعد أن مرت حوالي ربع ساعة لم يستطع خلالها تحريك جسده المتيبس من هول ما رآه. نظر حوله بحثاً عن أي أثر لذلك الكائن، لكنه لم يجد شيئاً سوى الصمت والظلام الذي ملأ الغرفة. صرخ في الفضاء الخالي: "أين أنت؟!" لكن صوته انقطع في الفراغ، ولم يكن هناك من يجيب.

شعر قلبه بالخفقان بشدة، وكأن الخوف قد تحول إلى كائن حي يختبئ في صدره. "ماذا أفعل الآن؟" تساءل، وهو يحاول التفكير بوضوح وسط الضباب الذي ملأ عقله.

استند إلى الحائط، يضغط بأصابعه على رأسه كما لو كان يحاول إخراج الأفكار المزعجة. "لا بد أن أجد طريقة للخروج من هذا المأزق."

قرر، وهو يستجمع شجاعته، أن يواجه ما حدث له، وألا يستسلم للخوف الذي يحاول السيطرة عليه. بدأ يتنفس بعمق، محاولاً التهدئة. "يجب أن أكون ذكياً. لا يمكنني السماح لهذا الكائن بتحطيم حياتي." بينما كانت الأفكار تدور في رأسه، شعر برغبة هائلة بالنوم. تراجع بضع خطوات إلى الوراء حتى لامست قدمه السرير فتمدد عليه ببطء، غارقاً في نوم مفاجئ عميق لم يتركه حتى حل صباح اليوم التالي عندما استيقظ على صوت الباب يطرق بشدة.

فتح الباب، فتفاجأت الأم من حالة ابنها، فقد كانت تعتقد أنه كان يدرس طوال الليل. فقالت: "سهرت الليل بطوله لتقرأ؟"

رد بنبرة متعبة ومرتبكة: "نعم، أمي، كنت أقرأ." لكنه كان يعرف في داخله أنه يكذب. كان عقله مشغولاً بالأفكار المظلمة، وصور الكائن الغريب لا تفارق خياله.

لم تشعر الأم بما يجول في ذهنه، لكنها لاحظت تعبيرات القلق على وجهه. "عزيزي، عليك أن تتناول إفطارك قبل أن تتأخر عن المدرسة. هل تحتاج إلى شيء؟"

"لا، أمي، سأكون بخير." حاول أن يبدو طبيعياً، لكنه كان يعلم أن هذا الكائن ما زال يطارده، وأن ما حدث لم يكن مجرد كابوس.

بينما كانت الأم تحضر الإفطار، حاول كريم أن يتفقد أفكاره. "كيف أستطيع أن أتعامل مع هذا؟" تساءل. كان يعرف أنه يجب عليه أن يظل قوياً، لكن الخوف كان يعتصر قلبه.

عندما انتهت الأم من إعداد الإفطار، جلست أمامه وبدأت تسأله عن دراسته وأصدقائه. لكنه لم يكن قادراً على التركيز. كانت كلماتها تتلاشى في الخلفية، بينما كانت الأفكار المظلمة تتزايد في رأسه.

"عليك أن تخبرني إن كان هناك شيء يزعجك،" قالت الأم بقلق.

ارتجف قليلاً ثم قال. "لا شيء، أمي. فقط بعض الأمور الدراسية." لكن قلبه كان مليئاً بالقلق. "كيف أستطيع أن أخبرها بما حدث؟" تسأل

قرر أن يبقي الأمر لنفسه، وأن يبحث عن إجابات بنفسه. بعد أن أنهى طعامه، سألته والدته بنبرة حزينة: "ماذا بك؟ لم تكن البارحة على ما يرام، وكذلك حالتك الآن. هل أنت بخير يا عزيزي؟

رد بصوت حزين متعب: "نعم، يا أمي، لكني لا أعتقد بأني سأذهب إلى المدرسة اليوم. يجب أن أبقى في المنزل لأكمل دراستي."

قالت الأم بقلق: "كما تشاء، لكن عليك أولاً أن تأخذ قسطاً من الراحة. فلا يبدو من وجهك أنك بخير."

"حسناً أمي، لكن يجب أن أعود إلى دراستي الآن."

أضافت والدته: "أنت لم تتناول العشاء في الليلة الماضية، لأنني عندما دخلت غرفتك وجدتك نائماً، ولم أرغب في إيقاظك. أخشى أن هذا الإهمال لصحتك سوف يضرك قريباً."

حاول أن يتجنب نظراتها، فكان يعرف أن حالته لا يمكن أن تُخفى عنها. فقال: "يجب أن أخلد إلى النوم الآن، يا أمي. أرجوك لا أريد أن يزعجني أحد." كان يتكلم بصعوبة، نتيجة لتشابك الأفكار في رأسه.

شعر وكأن قلبه يتألم من الضغط النفسي. "يجب أن أركز على دراستي، "تمتم في نفسه، "لكن كيف أستطيع أن أدرس بعد ما حدث؟"

بينما كانت والدته تترك الغرفة، استغل الفرصة لينفرد فقال بنفسه. "أحتاج إلى التفكير،". لكنها قبل أن تخرج وقفت لتذكره بضرورة أن يعطي لجسده بعض الراحة.

رد بصوت خافت: "نعم، أمي، سأفعل ذلك."

شعر بالتعب يثقل كاهله، ولكنه كان يعلم أن ذهنه لا يزال مشغولاً. نظر إلى نافذة الغرفة المفتوحة، حيث كانت أشعة الشمس تتسلل إلى الداخل، مضيئة الأركان المظلمة. "ربما يحتاج عقلي لبعض الهواء أيضاً،" تمتم في نفسه.

قالت والدته بلهجة حازمة: "تأكد من أن تغلق النافذة قبل أن تنام."

"سأفعل، أمي،" أجاب بتساهل، لكنه لم يكن يشعر بالراحة.

عندما غادرت والدته، أغلق باب الغرفة خلفها ببطء. استلقى على سريره، لكنه لم يستطع أن يسترخي. كانت أفكاره تتدافع في

رأسه، والكائن الغريب لا يزال حاضراً في قلبه البائس، وكأن وجوده يملأ الفراغ. "لماذا أنا؟" تكرر السؤال في ذهنه، وكان الجواب الوحيد هو الخوف والارتباك.

"يجب أن أجد طريقة لوقف هذا. لن أسمح له أن يتحكم بي،" قرر أن يسترخي، وبدأ يغلق عينيه.

في تلك اللحظة، شعر برغبة عارمة في النوم، لكن كلمات الكائن الغريب كانت تتردد في ذهنه. "ستتمنى الموت..."

أغمض عينيه بشدة، وقرر أنه لن يسمح لهذا الرعب أن يتحكم في نومه. استغرق في محاولة الاسترخاء، لكنه لم يستطع الهروب من الحقيقة التي تطارده.

ظل على هذه الحال لا يدري ماذا يفعل. فكل ما يجري هو عبارة عن أحداث غير منطقية. فعلى الرغم من كل التفكير والخوف، كان التعب يستبد في جسده، وبعد أن نام بصعوبة، أيقظه صوت طرق الباب. نظر إلى ساعة الغرفة فكانت تشير إلى الرابعة عصراً. فتح الباب، فقالت الأم: "صديقك آدم يقف عند باب المنزل."

تغيرت ملامح وجه عندما سمع ذلك، وقد لاحظت عندها الأم فتوقعت أن ابنها متعب من الدراسة ولا يريد استقبال أحد. فقالت: "إذا أردت، سوف أخبره بأنك نائم."

رد بنبرة سريعة: "لا يا أمي، لا داعي لذلك." وخرج ليفتح الباب، وهو لا يعلم هل الذي يقف عند الباب هو صديقه آدم أم ذلك الكائن الغريب. فتح الباب ببطء وإذا بآدم يقف أمامه. نظر آدم إلى وجه كريم الشاحب بنظرة استغراب، فقال: "هل فقدت عقلك نهائياً أم ماذا؟"

لم يسمع رداً من كريم سوى نظرات شاخصة مرتعبة، وبعدها أدخله إلى غرفته دون أن ينطق بكلمة. جلس الصديقان على السرير أمام بعضهما البعض. للمرة الثانية أو لنقل للمرة الأولى، قاطع الصمت آدم قائلاً: "ماذا بك؟ هل أنت مريض؟ لا يبدو من وجهك أنك بخير."

رد كريم بنبرة بطيئة: "نعم، أنا مريض."

"من ماذا تعاني؟"

"بعض الأمراض يفضل أن لا يبوح بها صاحبها."

بنبرة مستهزئة، قال آدم: "لا يا صديقي، إنه أنت دائماً ما تحاول التهرب من الامتحانات بحجج تافهة. هل تذكر عندما كنا في الصف الخامس وقلت أنك قد فقدت بصرك؟ لكن سرعان ما تم كشفك لأنك ببساطة ممثل فاشل يا صاحبي"

"ما سبب زيارتك؟"

"بالطبع، اسأل عن سبب تغيبك اليوم عن الدوام. فلقد أعاد أستاذ الرياضيات شرح الموضوع الذي طلبت أنت منه شخصياً أن يعيد شرحه."

رد كريم بتوتر:

"وأنا أخبرك الآن أن سبب غيابي هو المرض."

ضحك آدم قليلاً، ثم قال: "هل تعتقد فعلاً بأن هذه الحيلة سوف تنفعك هذه المرة؟"

رد كريم بنبرة غاضبة بعد أن تغيرت ملامح وجهه: "أريد منك أن تخرج من غرفتي ومن المنزل الآن. لا أريد رؤيتك مجدداً."

قال ادم بعد ان رفع صوته "لا تعامل الناس بحقارة فقط لأنك تشعر ببعض الضيق." كانت كلمات كريم تتردد في ذهنه كصدى

في غرفة فارغة. "لن أكرر كلامي. اخرج الآن، وإذا صادفت والدتي، أخبرها بأنك جئت لتعطيني الواجب فقط."

وقف الاثنان، وبعد نظرات طويلة تتقلب بين الغضب والاستغراب، خرج آدم من الغرفة دون أن ينطق بكلمة واحدة. وقبل أن يصل إلى باب الخروج من المنزل، صادف والدة كريم. فمر من أمامها وهو يدمدم بكلمات غير مفهومة.

لم تعر الأم للأمر أي أهمية على اعتبارهم مراهقين، ومن السهل أن يحدث خلاف بينهم، لكنهم بالنهاية سوف يتصالحون بالتأكيد.

لكن كريم لم يكن قادراً على التفكير في ذلك. وقف في غرفته مصدوماً من الحالة التعيسة التي وصل إليها. فصديق الطفولة يغادر دون رجعة، والامتحانات التي حتماً سوف يرسب بها، فضلاً عن الأيام والوقت الذين يمران بسرعة كبيرة، مما يجعله متأمر مع الكائن الغريب ضده. لكن، وما فائدة الدراسة أو آدم الآن؟ لم يبقَ سوى يومين، وبعدها يدخل هذا الكائن الغريب من مكان ما بالغرفة، مطالباً إياه بشيء لا يمكنه العيش من دونه. هكذا كان تمركز ما يجول في عقله.

جلس على كرسي شاعراً بحالة من الانهيار الداخلي، فاقداً كل رغبة في الحركة. وفجأة، خطرت له فكرة غريبة. إذا كان هذا

الكائن يراقبه طوال حياته، فبالتأكيد هو الآن ينظر إليه من مكان ما في الغرفة. فماذا سوف يحدث إذا ناداه؟

استجمع شجاعته وقال بصوت خافت ومسموع: "أيها الكائن الغريب، إذا كنت تسمعني، أرجوك أظهر..."

نظر بتفحص إلى كل زاوية من زوايا الغرفة، فلم يحدث شيء. كرر ذلك بنبرة مرتعشة، فقال: "أيها الكائن الغريب، أظهر، أرجوك..."

نظر إلى المرآة للمرة الأولى منذ حدوث كل شيء، فلاحظ تغير ملامح وجهه من شحوب لونه واحمرار عينيه. فأحس بشعور الغضب يجتاحه من جديد، فصاح بصوت مرتفع وغاضب: "أيها الكائن الغريب اللعين، إذا كنت تسمعني، أريدك أن تظهر الآن!"

تردد صدى صوته في الغرفة ام كان صوتاً داخلياً هو لا يعلم لكنه كان عالياً جداً، وكأن الجدران تحاكي قلقه. كان قلبه يخفق بشدة، والأفكار تتصادم في رأسه. "ألا تخاف؟" تساءل، "ألا تشعر بوجودي كما أشعر بك؟"

لحظة من الصمت العميق ملأت الغرفة. ثم، فجأة، شعر بشيء غير طبيعي في الجو، كأن الطاقة حوله تتغير. اهتزت الأشياء على الطاولة، وشعر بأن الجدران تقترب منه. "ماذا تريد مني؟" صرخ، محاولاً مواجهة خوفه.

وبينما كان ينتظر أي رد، جاء صوت خافت يهمس في أذنه، كأنه ينطلق من أعماق الظلام: "أنا هنا..."

تجمد في مكانه، وكأن الكلمات كانت تخترق حواسه. "أين أنت؟" سأل، صوته يكاد يكون همساً.

"أنا هنا، حيث لا يمكن لأحد أن يراك." جاء الرد، عميقاً وغامضاً.

شعر بجسده يرتجف، لكنه أدرك أنه لم يعد بإمكانه التراجع.
"لماذا تفعل هذا؟" سأل، وعقله يثقل بأسئلة تتوالد.

"لأنك مميز، ولأنك تحتاج إلى الاختيار." جاء الرد، لكن الكائن لم يظهر بعد.

شعر كريم وكأن العالم من حوله يتلاشى، وعيناه تراقبان كل حركة في الغرفة. "أي اختيار؟" تساءل بصوت منخفض.

"اختيار الحياة أو الموت، الهدوء أو الفوضى، الأصدقاء أو الوحدة." جاء الصوت، أكثر وضوحاً.

فجأة، أحس بأن عليه اتخاذ قرار. لم يكن أمامه خيار سوى مواجهة هذا الكائن الغريب، الذي بدأ يشعر وكأنه يمثل تحدياً أكبر من مجرد خوف.

"إذا كنت هنا، فلتظهر، ولنواجه هذا معاً." قال كريم، عازماً على عدم الاستسلام للظلام الذي يحيط به.

جلس بعد ان انتظر ظهوره طويلاً دون جدوى واضعاً يديه على وجهه، فاقداً للأمل والرغبة في فعل أي شيء. كانت أفكاره تدور حول الكائن الغريب الذي يطارده، والأيام التي تمر كالأشباح. وفي تلك الأثناء، طُرق الباب. شعر بشعور غريب من الخوف والرهبة وعدم الارتياح، على الرغم من أنه توقع من الطارق فتح الباب. وإذا بأمه تقف أمامه. حاول أن يدير وجهه لكي لا ترى والدته ملامح وجهه المتضررة، ثم عاد للجلوس، مغطياً وجهه بيديه، محاولاً إخفاء حجم الدمار في ملامح وجهه المتعبة والحزينة. "لقد كنت على وشك النوم قبل أن تدخلي، يا أمي."

تقدمت الأم ثلاث خطوات، فقالت بصوت مبحوح: "ماذا بك، أيها الغبي؟"

بحركة سريعة، رفع رأسه ليرى، ووجد أن الكائن الغريب قد سمعه، وجاء هذه المرة بهيئة والدته.

تحرك الكائن الغريب في الغرفة بحركة بطيئة، فاستولى على كرسي ووضعه أمامه، ثم جلس دون أن يزيد على كلماته الأولى شيئاً. كانت تحركاته في الغرفة مرعبة وغريبة لدرجة أن من يراه يشعر كأن شيئاً ما يسحب روحه من جسده.

ساد الصمت الموقف، لكن سرعان ما قطعه نزول دمعة بصعوبة من عين كريم، بعد أن كانت حبيسة الخوف. كانت هذه الدمعة مزيجاً من الخوف والحزن الشديد الساحق، لأنه كان يعلم أنه قريب من فقدان أعز إنسان على قلبه، وهي والدته، وهذا الكائن الخبيث اختار أن يأتي بشكلها.

نزلت دمعة أخرى من عين الكائن الغريب، فظهر كأنه يستهزئ بدموع المراهق التعيس. "تظن أنني أتيت لأؤذيك؟" قال بصوت والدته، لكن نبرة الصوت كانت تتلاشى بين الغموض والخداع.

"لماذا تفعل هذا؟" سأل، وهو يحاول أن يتمالك نفسه. "لماذا تأخذ شكلها؟"

"لأنك بحاجة إلى رؤية الحقيقة،" رد الكائن، بينما كانت ملامح والدته مشوهة تحت تأثيره. "هل تعرف كم هو مؤلم أن تفقد من تحب؟"

شعر كريم بأن قلبه يتمزق. "لا! لا أريد أن أرى الحقيقة! أريد أن أكون مع والدتي!" صرخ، محاولاً الهروب من الجلوس أمام الكائن الغريب.

"لكن الحقيقة لا مهرب منها،" قال الكائن، وقام من مكانه. "وإذا كنت تريد أن تنجو، يجب أن تواجه ما تخاف منه."

تجمد كريم في مكانه، وبدأت أفكاره تتقاطع. "هل أواجهك؟ أم أواجه الخوف من فقدان والدتي؟" تساءل في داخله.

"لا تستطيع الهروب من نفسك،" أضاف الكائن، مقترباً أكثر. "كل ما عليك هو اتخاذ القرار."

في تلك اللحظة، أحس بأن الوجود من حوله يختفي، وأنه أمام مفترق طرق لا مفر منه. كان عليه أن يختار بين مواجهة الكائن الغريب أو مواجهة فقدان والدته، وكلا الخيارين كان يثير الخوف في قلبه.

سأواجهك،" قال أخيراً، وقد امتلكته شجاعة غير متوقعة. "لن أسمح لك بأن تتحكم بي."

كانت الكلمات تتردد في الغرفة، وبدأت الأضواء تتلألأ بشكل غريب، وكأن العالم يراقب التوتر الذي يتصاعد بين كريم والكائن.

وبعد هذا الصمت الطويل، نطق الكائن الغريب، فقال: "ماذا تريد؟"

رد كريم بصوت متقطع: "أردت أن أسألك."

"أعتقد أنني سبق أن أجبتك عن كل ما تحتاج أن تعرفه."

"هل يعقل أنك ستسلب روح إنسان فقط لأنك تريد أن تصنع شجرة؟!"

رد الكائن الغريب بعد أن ضحك ضحكته الغريبة : "ومن قال لك إنني سأصنع شجرة زينة؟ الشجرة التي سأصنعها ستكون شجرة العظام، وهي مصدر الدماء في جنتنا. لأننا نتغذى على دمائكم. بعد موتك ودفنك، سيأتي أصدقائي ليقطعوا جسدك. بعضهم سيسحب ما تبقى من دمك ليسكبه في نهر الدماء، والبعض الآخر سيقتلع أحشائك ليصنع منها حيوانات الأحشاء. والبعض سيقص فروة رأسك، صانعاً منها عشب الشعر. وبعد حفلة التقطيع هذه،

لن يبقى منك شيء لتزوره والدتك في قبرك، فهي لا تعلم أنها تزور الأرض."

"وهل كل من يموت تأخذون جسده؟"

"بالطبع لا. نحن نأخذ جسد من هم أمثالك وأمثال والدك."

"ما دخل والدي بالموضوع؟"

"في داخل كل إنسان شعلة (الإيمان) يولد بها، تضيء وتسطع. وهذه الشعلة هي التي تحميه منا وهو حي، وبالتأكيد تحميه وهو ميت. أما إذا أهملها الإنسان ولم ينظر أو يهتم بها، فسوف تخفت

وتنطفئ، ولن يبقى عندها بيننا وبين جسده سوى الموت وبعض الحوادث البسيطة."

"لم تجبني عن سؤالي، ما دخل والدي بالموضوع؟"

"الغيرة، الأنانية، الغضب، الشهوة، والتفاخر من الأسباب التي تؤدي إلى انطفاء هذه الشعلة بسرعة. أما بالنسبة لك ولأمك وأبوك وزوج أمك وصديقك، فلقد انطفأت شعلتكم منذ زمن طويل. لكني الآن أطلب منك ألا تحزن، لأنك وعائلتك لستم الوحيدين الذين سوف يتحولون إلى لا شيء. الجزء الأعظم من بني البشر مثلك ومثل عائلتك. ألم ترَ حجم الشجرة التي صنعتها من عظامكم؟"

قال الكائن الغريب هذا واختفى، تاركاً كريم في حالة من الصدمة والذهول. كانت كلماته تتردد في ذهنه، وكل جملة كانت كالسيف الذي يقطع الأمل. كيف يمكن لعالم كهذا أن يكون حقيقياً؟ كيف يمكن أن تكون الحياة بهذه السهولة مجرد غذاء لشجرة مرعبة؟

شعر كريم باضطراب عميق في صدره، وبدأ يتساءل عن مصيره. "هل هناك طريقة للخروج من هذا الكابوس؟" سأل نفسه. كل شيء كان يبدو مظلماً، ولكن هل لا يزال هناك أمل في إضاءة تلك الشعلة المطفأة؟

في تلك اللحظة، تذكر كلمات والدته عندما كانت تدعوه دائماً للاهتمام بما يحيط به، ليكون بجانبه في اللحظات الصعبة. "لا يمكنني السماح لهذا الكائن بأن يتحكم بمصيري. يجب أن أقاتل!" قرر كريم، وهو يستجمع شجاعته. كانت لديه ساعات كافيه لتغيير مجرى الأحداث، وعليه أن يجد الطريقة للتمسك بشعلته قبل أن ينهار كل شيء.

بعد أن تحرر جسده من التشنجات الغريبة التي اجتاحته عقب لقائه بالكائن الغريب، جلس كريم في غرفته غارقاً في التفكير. كان عليه اتخاذ قرار بشأن ما سيحدث بعد الآن. الخوف يسيطر عليه، ومع ذلك، لم يكن هناك مهرب. لم يعد بإمكانه مقاومة هذا

العالم الغريب الذي وجد نفسه فيه. و بتناقض عجيب قرر أن يسلم للأمر الواقع.

نظر إلى الساعة المعلقة على الجدار. كانت تشير إلى السابعة مساءً. كل دقيقة تمر كانت تشعره وكأنها تعجل بنهايته. وبما أنه لم يتبقَ الكثير من الوقت، استجمع شجاعته وقرر أن يكتب رسالة لوالدته. جلس إلى مكتبه، وأخذ ورقة وقلماً وبدأ يكتب:

"عزيزتي الغالية أمي،

أكتب لكِ هذه الرسالة وقلبي مثقل بالكلمات التي أخفيتها عنكِ طوال هذه السنين. أعلم أنكِ قد لا تفهمين بالكامل السبب وراء ما سأفعله قريباً، وأنا لا ألومك. لكنني أطلب منكِ شيئاً واحداً: أن تحاولي أن تتفهمي مشاعري ووضعي، حتى وإن كنتُ غير قادر على شرح كل ما بداخلي. أحياناً، يا أمي، هناك أشياء لا نستطيع أن نبوح بها حتى لأقرب الناس، ليس لأننا لا نثق بهم، بل لأن الكلمات تعجز عن ترجمة الألم.

لطالما كنتِ مثالي في القوة، وكنتِ دائماً كتومة معي، خاصة عندما كنتُ أسألك عن والدي. كنتِ تحاولين إخفاء السبب الحقيقي لوفاته، وتخبريني أن المرض هو ما أخذه منا. ورغم أنني اكتشفت الحقيقة بعد فترة – أن إدمان الكحول هو الذي أنهى حياته – إلا أنني عذرتكِ حينها. كنتِ تريدين حمايتي، أليس كذلك؟ حاولتِ أن تبعديني عن الألم والحقيقة المرة التي قد تجرحني. واليوم، أدركتُ ذلك بشكلٍ أوضح، فهمت لماذا أردتِ لي أن أعيش في سلام، بعيداً عن ذكرى من كان من المفترض أن يكون قدوتي، لكنه استسلم لوحشٍ كان أقوى منه.

لكنني يا أمي، أشعر أنني عالق في ذات الدوامة التي التهمت أبي. ربما ليس إدمان الكحول، بل شيء آخر ينهشني من الداخل،

شيء يجعلني أشعر بأنني أفقد نفسي ببطء. قد يكون الغضب، الغيرة، أو ربما الفشل الذي يطاردني في كل خطوة أخطوها. الحياة يا أمي تضع أمامنا أحياناً قيوداً تبدو أكبر من قدرتنا على التحمل. وفي أحيان كثيرة، نحن من نربط تلك القيود حول أيدينا بأيدينا، غير قادرين على فكها، ثم نلوم الحياة ونبحث عن مبررات لها.

أريد منكِ يا أمي شيئاً أخيراً... أرجوكِ، اعتذري لآدم نيابةً عني. لم أقصد أن أؤذيه في لقائنا الأخير، ولكن الغيرة، تلك المشاعر

السوداء التي تشتعل في صدري أحياناً، دفعتني لفعل أشياء لم أكن أتحكم فيها. كانت تلك الغيرة، مع الإحباط، تجعلني أفقد السيطرة على نفسي، وأنتِ تعرفين كيف يكون ذلك. أعلم أنني خيبت ظنكِ كثيراً، لكنني كنت أحاول دائماً أن أكون أفضل، حتى لو بدا أنني أفشل.

ورغم كل شيء يا أمي، أريدكِ أن تعرفي أنني أحبكِ. حبكِ هو الشيء الوحيد الثابت في حياتي، الشيء الذي يعطيني القوة للاستمرار، حتى وإن كنتُ أشعر أنني على وشك الانهيار. أنتِ نور حياتي، ودونكِ لم أكن لأتمكن من الصمود حتى هذه اللحظة.

ابنك الذي يحبك دائماً، كريم."

بعد أن كتب رسالته وأخفى آلامه بين السطور، قرر أن يتصرف بشكل طبيعي، أو على الأقل كما يظن أن الطبيعي يكون في وضعه. وضع الرسالة بين أغراضه المهمة ثم نزل إلى الطابق السفلي. أراد هذه المرة أن يتناول العشاء مع والدته وزوجها، على الرغم من البرود الذي كان يملأ علاقتهما.

غسل وجهه، لكن ملامح الإرهاق والتعب لم تفارقه. كانت والدته جالسة إلى طاولة المطبخ بجوار زوجها، وعندما رأته قالت: "كنت سأصعد إليك بالطعام قبل قليل."

رد بهدوء: "لا يا أمي، سأكل هنا."

جلس إلى الطاولة، وسحب كرسياً ليجلس عليه ثم بدأ يأكل بشهية غريبة، كأنه لم يتناول الطعام منذ أسبوع. نظرت والدته إليه بدهشة، فقد لاحظت التغير الواضح في تصرفاته خلال الأيام الأخيرة. كان ابنها مختلفاً، أكثر انعزالاً وتفكيراً، وربما أكثر شروداً.

عندما انتهى من طعامه، طلب من أمه ألا تزعجه في غرفته لأنه سيغرق في الدراسة، وأنه لن يحتاج لإيقاظه صباحاً للمدرسة لأنه سيبقى مستيقظاً طوال الليل. عادت والدته للنظر إليه بقلق لكنها لم تعقب.

عاد إلى غرفته، وأقفل الباب خلفه، ثم ارتمى على السرير محاولاً النوم. ورغم صعوبة ذلك بسبب القلق الذي يعتريه، تمكن في النهاية من إغلاق عينيه والاستسلام للنوم.

عند منتصف اليوم التالي، فتح عينيه ونظر إلى الساعة. كانت تشير إلى الثانية عشرة ظهراً، توقيت انتهاء الدوام المدرسي. تذكر صديقه آدم، فقرر الذهاب إلى المدرسة ليراه للمرة الأخيرة، قبل أن ينتهي كل شيء.

خرج من المنزل بهدوء حتى لا يلاحظه أحد، وتوجه مباشرة إلى المدرسة. انتظر خارجها حتى لاحظ آدم يخرج مع صديق جديد. كان الاثنان يتحدثان ويضحكان بينما كان كريم يمشي خلفهما دون أن يلاحظوه. بدأت مشاعر الحزن والغضب تتسلل إلى داخله، واقترب أكثر ليسترق السمع.

سمع الصديق الجديد يسأل آدم: "ماذا حدث لصديقك القديم كريم؟"

ضحك آدم ساخراً وأجاب: "كيف يمكن أن أصادق ذلك المجنون؟"

شعر كريم وكأن قلبه يغرق في بحر من المشاعر المختلطة.

قرر العودة إلى منزله، لكن هذه المرة كان الحزن يغلبه بشكل يصعب احتماله. دخل إلى غرفة والدته وأخذ حبوباً منومة كانت تستخدمها، علّه يجد في النوم مهرباً من كل ما يشعر به.

غرق في نوم عميق ولم يستيقظ إلا في اليوم الأخير من الموعد المحدد لمصيره. استيقظ عند الحادية عشرة ظهراً، وجلس على سريره، ثم انفجر في نوبة بكاء هستيري. لكن فجأة، تغير كل شيء. وقف على قدميه ونظر إلى نفسه في المرآة، وملامحه قد تحولت إلى ملامح مملوءة بالشر. بصوت خافت، قال: "إذا كان هذا هو اليوم الأخير لي، فسيكون أيضاً اليوم الأخير لآدم."

نزل إلى الطابق السفلي واتجه إلى المطبخ، حيث سحب سكيناً حادة ووضعها في جيب بنطاله الخلفي. لحسن حظه، كان المنزل خالياً. توجه مباشرة إلى أحد الأزقة المظلمة حيث كان يعلم أن آدم سيمر من هناك. لم ينتظر طويلاً حتى لمح آدم يمر بالفعل.

صاح بصوت منخفض: "آدم!" نظر آدم نحو الزقاق وقال متفاجئاً: "كريم؟ ماذا تفعل هنا؟" اقترب آدم بناءً على طلب كريم الذي ادعى أن الطبيب منعه من التعرض للشمس المباشرة.

اقترب آدم أكثر، وفي اللحظة التي وقف فيها أمامه، أخرج كريم السكين وطعنه عدة طعنات في بطنه. لم يصدر من آدم سوى صوت ارتطامه بالأرض، بينما وقف كريم صامتاً يراقب جثة صديقه وهي تسبح في بركة من الدماء.

أخفى السكين في كيس أسود، وخرج بسرعة متجهاً إلى النهر ليتخلص من الدليل، ثم عاد إلى منزله مرتعشاً من الخوف

والرعب. ولحسن الحظ، لم تكن والدته وزوجها قد عادا بعد. صعد إلى غرفته وجلس على سريره، ينظر إلى الساعة التي كانت تشير إلى الثانية ظهراً. بدا الوقت وكأنه يمر بسرعة كبيرة، لكن رغم ذلك، كل شيء كان ينهار.

ظل يمشي ذهاباً وإياباً في غرفته، يتصارع مع أفكاره. بين كل فكرة وأخرى، كانت نظراته تتوجه نحو المرآة التي تعكس وجهه الجديد، وجهاً مليئاً بالشر. ومع مرور الوقت، أصبحت الساعة تشير إلى السادسة مساءً. لم يبقَ أمامه سوى ست ساعات قبل أن ينتهي كل شيء.

وقف أمام النافذة، وشاهد غروب الشمس الذي بدا له جميلًا بطريقة غريبة. تساءل بصوت خافت: "هل هذا هو حال الحياة؟ لا يظهر جمال الأشياء إلا عندما تشعر أنها المرة الأخيرة التي تراها فيها؟"

رفع يده، كأنه يودع الشمس التي تغرب، لكنه شعر بشيء آخر. طيف آدم كان يقف أسفل المنزل، يحدق فيه بنظرات مليئة بالحزن، كأنها تسأله: "لماذا فعلت ذلك؟"

في تلك اللحظة، قاطع خياله صوت وصول والدته وزوجها إلى المنزل. سمع ضحكات والدته الممزوجة بصوت زوجها الذي كان يكرهه. سمع خطوات تقترب من غرفته، فأسرع إلى السرير

ليتظاهر بالنوم. فتحت والدته الباب، ألقت نظرة سريعة، ثم غادرت دون أن توقظه، وقررت أن تتركه حتى العشاء.

بعد أن رحلت والدته، عاد إلى النافذة. لكن طيف آدم اختفى. نظر إلى كل شيء أمامه بنظرة فضول، وكأنما أراد أن يشبع كل فضوله الذي تراكم طوال سنوات مراهقته في هذه اللحظات الأخيرة.

ظل على هذا الحال فترة طويلة، حتى وضعت يد دافئة على كتفه. لم يشعر بالخوف، بل شعر بالراحة. لقد عرف هذا الإحساس، إحساس يد والدته.

نظر إليها بنظرة وداع مليئة بالعاطفة، وقال: "لا داعي لأن تحضري الطعام إلى غرفتي. سأتناوله معكم."

ابتسمت والدته بفرح شديد، وشعرت أن ابنها قد تقبل زوجها أخيراً. نزلت بسرعة لتحضر الطعام، جلس كريم مع والدته وزوجها إلى الطاولة، يتناول الطعام بصمت. وعندما لاحظت والدته أنه لم يعجبه شكل السلطة، قالت معتذرة: "لم أجد السكين الحادة التي أستخدمها عادة."

عرف السبب على الفور، لكنه لم يعلق.

بعد أن قضى ساعاته الأخيرة بين تأملات مظلمة، كان يجلس على مائدة العشاء بصمت بجانب والدته وزوجها، عندما قطع الهدوء صوت طرق الباب. ذهب زوج والدته لفتحه، وعاد بوجه متجهم عندما رأى رجال الشرطة يقفون أمام الباب. قال الشرطي: "هل هذا منزل الطالب كريم؟" أجاب الزوج بتوتر: "نعم، لكن لماذا؟" رد الشرطي بحزم: "إنه متهم بجريمة قتل."

دخل رجال الشرطة إلى المطبخ، حيث كان كريم يعرف سبب مجيئهم دون أن يسأل. استمرت والدته في محاولة منعهما من أخذ ابنها، تبكي وتتوسل، ولكن دون جدوى. رغم محاولاتها المستميتة، تم اقتياد كريم إلى مركز الشرطة.

هناك، دخلت الأم منهارة إلى مكتب الضابط وصرخت: "لماذا أخذتم ابني؟" رد الضابط بصوت هادئ لكنه صارم: "ابنك متهم بجريمة حيث طعن زميله في المدرسة آدم حتى الموت."

توقفت الأم للحظة، ساد الصمت المكان، وبدأت تفكر في السكين التي لم تجدها في المطبخ. ومع ذلك، حاولت السيطرة على مشاعرها وإنكار التهمة، طالبة إعادة التحقيق.

أخبرها الضابط بوجود شاهد عيان وهو زميل لهم اخر كان يريد اللحاق بآدم رأى كريم يخرج من الزقاق حيث قُتل آدم، حاملاً كيساً أسوداً. تذكرت الأم السكين مرة أخرى، لكن لم تُظهر أي

رد فعل، بل استمرت في إنكار التهمة. في النهاية، طلبت رؤية كريم للمرة الأخيرة قبل مغادرتها.

كان كريم في زنزانته الانفرادية مؤقتاً، حيث لا يجوز وضع مراهق في زنزانة الكبار

كانت الأم تحاول طمأنة ابنها، لكن كريم قال بحزم: "ليس هذه المرة، يا أمي." شعرت الأم بدمعة تنحدر من عينها، وودعتها دمعة كريم بالمثل. كانت تلك اللحظة مليئة بالألم. وكأن الفراق في اقسى معانيه لا يلين الا بنزول دموع الأحبه

قاطع السجان تلك اللحظات قائلاً: "حسناً، يجب أن تغادري الآن." طلب كريم من والدته الاحتفاظ بأغراضه الشخصية.

غادرت الأم بصعوبة، تاركة كريم وحده في زنزانته المظلمة التي اعاد منظرها شريط الذكريات سنين وبالتحديد الى تلك اللحظات، المؤلمة حيث تذكر ما حدث له عندما كان صغيراً، عندما حبسه والده في خزانة الملابس المظلمة، وصوت ضرب وبكاء والدته كان الشيء الوحيد الذي يسمعه في تلك الليلة.

اما عن ما هو فيه الآن فقد ظل غارقاً في دوامة أفكاره المتشابكة، لم تكن هناك ساعة بجانبه، لكنه شعر أن الزمن بدأ يتباطأ، وأن اللحظة الحاسمة تقترب. الخوف الذي اجتاحه كان مثل دوامة تغمره، وكل رعشة تسري في جسده كانت أقرب إلى إعلانٍ صامت بأن النهاية تلوح في الأفق. انهار على الأرض، وكأنه انسحب من الواقع إلى العدم، لا يسمع سوى الصمت الثقيل الذي يعم المكان. استيقظ فجأة على صوت قاسٍ يخترق الغشاوة في عقله: "أيها الغبي، المدلل، استيقظ! سيتم نقلك إلى سجن خارج المدينة، حيث المكان يليق بعمرك." كانت الكلمات مثل صفعة، باردة وفارغة. لكريم، الذي كان مذهولاً ومضطرباً، سأل بصوت مبحوح: "كم الساعة الآن؟" فرد السجّان بلامبالاة: "إنها العاشرة صباحاً."

لم يستوعب شيئاً مما يحدث. تاه عقله في دوامة الأسئلة التي لا تجد لها جواباً، فتمتم:

"ألم يَحين الأوان بعد؟؟"

نقلوه إلى سجن آخر، وكانت المسافة تبدو بلا نهاية. ولكن بالنسبة لكريم، الوقت فقد معناه، وكان كل شيء ضبابياً. دقائق أو

ساعات، لم يكن يدري. ذهنه مشغول بغرفة مظلمة داخل نفسه، يُطرح فيها نفس الأسئلة المتكررة التي لا يستطيع الهروب منها:

"ماذا حدث؟"

"هل أنا ما زلت حياً؟"

"أين أمي؟ أريد أمي..."

"لماذا أنت غاضب يا آدم؟"

"إلى أين يأخذوننا؟"

"لماذا لا يجيب أحد؟"

"اسألهم يا آدم، أين نحن ذاهبون؟"

وفي لحظة انفجار صبر الشرطي، صاح بغضب: "أخرس، أيها المجنون السفاح! إن لم تغلق فمك الآن، سأقتلك بنفسي! فهمت؟"

لكن كريم كان غارقاً في عالم آخر. لم يعد يسمع شيئاً سوى صدى صوته وصوت آدم، الحاضر الغائب، يهمس في أذنه:

"أنا أحبك أيضاً، كريم... لكن لماذا فعلت ذلك؟"

وفي صباح اليوم التالي في قاعة المحكمة، كان كريم يجلس في قفص الاتهام، محاطاً بالشرطة، بينما كانت والدته تجلس في الصف الأمامي، تملؤها مشاعر القلق والحزن. القاضي، رجل في منتصف العمر، يرتدي نظارته ويبدأ في قراءة ملف القضية بصوت هادئ.

"بعد مراجعة تقارير الطب الشرعي وأقوال الشهود، تبيّن أن المتهم كريم قام بطعن زميله آدم مما أدى إلى وفاته. تشير التقارير النفسية إلى أن كريم كان يعاني من اضطرابات نفسية واضحة، والتي يُرجّح أن تكون ناتجة عن تعرّضه للعنف المنزلي منذ الطفولة."

توقف القاضي للحظة، ونظر نحو كريم قبل أن يكمل حديثه:

"التقرير النفسي المقدم من الأطباء يشير إلى أن المتهم يعاني من اضطراب عقلي نتيجة لتجاربه السابقة مع والده المدمن، وهذا كان له تأثير مباشر على تصرفاته في لحظة وقوع الجريمة."

بدأ المحامي الدفاعي لكريم يتحدث، محاولاً تقديم صورة أوضح عن حالة موكله:

"سيدي القاضي، موكلي لم يكن في حالة عقلية سليمة وقت ارتكاب الجريمة. إنه ضحية لظروف قاسية فرضت عليه اضطرابات نفسية شديدة. تسبب له الهلوسات و الكثير من الأوهام نطلب من المحكمة أن تأخذ في الاعتبار خلفيته النفسية والاجتماعية عند إصدار الحكم، وأن يتم إرساله إلى مصحة نفسية للعلاج بدلاً من السجن."

نقر القاضي بأصابعه على المنصة، ثم نظر نحو والدة كريم، التي كانت تمسك بيديها بقوة، مشوشة بين مشاعر الأمومة والحقيقة القاسية التي تواجهها.

"نحن نتفهم أن هناك عوامل معقدة أدت إلى ما حدث. ومع ذلك، لا يمكن تجاهل خطورة الجريمة. حياة الشاب آدم قد أزهقت، وعلينا تحقيق العدالة لأسرة الضحية."

تحرك محامي الادعاء ليقدم حجته:

"سيدي القاضي، نحن نتعاطف مع المتهم بسبب ظروفه الشخصية، لكننا لا نستطيع التغاضي عن حقيقة أن هذه الجريمة نتجت عن فعل مقصود. هناك شهود رأوا كريم يخرج من مكان الجريمة، وقد تم العثور على أداة الجريمة. أسرته أخفت تقارير نفسية كان يمكن أن تمنع حدوث هذه المأساة."

بعد تداول بين القاضي والمحامين، صدر الحكم:

"بناءً على الأدلة المقدمة وتقارير الأطباء النفسيين، فإن المحكمة تقر بأن المتهم كريم كان في حالة عقلية غير مستقرة عند ارتكاب الجريمة. ولكن نظراً لخطورة ما حدث، تقرر المحكمة إرسال المتهم إلى مصحة نفسية متخصصة للعلاج، مع إمكانية مراجعة حالته بعد خمس سنوات لتقييم استعداده للعودة إلى المجتمع."

أما بالنسبة للأم، فإن المحكمة قررت تغريمها بسبب إخفائها معلومات حيوية عن حالة ابنها النفسية، مما قد يكون أسهم في تفاقم مشاكله. لكن المحكمة أخذت بعين الاعتبار أنها حاولت حماية ابنها في ظروف صعبة، ولذلك تم إعفاؤها من السجن.

النهاية